الهوية العربية

مقوماتها ومحددات تعريفها: إطار نظرى ومقاربة تحليلية

أحمد حسين *

مفهوم الهوية بشكل عام من المفاهيم المرنة التى قد تؤدى محاولة ضبطها فى تعريف محكم إلى هروب أجزاء منها أو غيابها(١)، ولذلك فليس مستغربًا أن يعلن غير قليل من الباحثين عن صعوبة فى تعريف المفهوم، فـ"جوتلوب فريجه" Gottlob Frege– على سبيل المثال – أعلن بأن الهوية – كمفهوم– لا يقبل التعريف، ذلك لأن كل تعريف هو هوية بحد ذاته. ووسمها "أندرسون" بأنها فكرة خيالية لا تقبل التجسيد أو التعريف. فالهوية مفهوم أنطولوجى وجودى يمتلك خاصية سحرية تؤهله للظهور فى مختلف المقولات المعرفية. ولكنه مثلما يتمتع بدرجة عالية من التجريد والعمومية، تتفوق على مختلف المفاهيم الأخرى المقابلة والمجانسة له، يمتلك طاقة كشفية لفهم العالم وما يضمه من كينونات الأنا والآخر. ولذا فقد فرض المفهوم نفسه فى الأدبيات المعاصرة وبشكل كبير. (٢)

والهوية كمفهوم ذو دلالات لغوية وفلسفية ونفسية واجتماعية وثقافية. ولفظ "هوية" مشتق من أصل لاتينى Sameness يعنى الشىء نفسه بما يجعله مغايرًا ومميزًا عما يمكن أن يكون عليه شىء آخر(٣). وتستخدم كلمة الهوية فى الأدبيات المعاصرة لأداء معنى Identity التى تعبر عن سمة مطابقة الشىء لنفسه، أو الاشتراك مع شىء آخر يشابهه فى الصفات والخصائص عينها. **وهناك أنواع أو مستويات ثلاثة من الهوية: الهوية الوطنية أو القومية، والهوية الجماعية،**

* أستاذ مساعد، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الثالث والخمسون، العدد الثانى، مايو ٢٠١٦.

والهوية الفردية أو الذاتية، ولكن تعريفها غالبًا ما يتم على **خلفية مقاربتين متعارضتين،** ترى **الأولى** أن تعريف الهوية (الوطنية أو القومية أو الجماعية) لابد وأن يكون موضوعيًا مستندًا إلى معايير موضوعية وخاضعًا لها، من قبيل اللغة والدين وخصوصية الثقافة أو الموروث الثقافى والذاكرة الوطنية أو التاريخ والجغرافيا والعرق والوطن أو الأمة...إلخ. فى حين تذهب **المقاربة الثانية** إلى أن تعريف الهوية تعريف ذاتى بحت، إذ يكفى أن تنظر جماعة من الناس إلى نفسها على أنها تكوِّن جماعة مميزة أو متمايزة حتى نعترف لها بهذا التشكل الجماعى وتميزه. ورغم ذلك لم يعد هذا الفصل، بين الذاتى والموضوعى، ممكنًا أو قائمًا فى الوقت الحاضر، إذ أصبح الاستناد إلى التعريف الموضوعى أساسًا كافيًا لتحديد الهوية الجماعية أو الوطنية.[٤] وأياً ما كان الأمر، فقد اجتهد الباحثون على اختلاف مرجعياتهم المعرفية والأيديولوجية فى تعريف المفهوم. فقد عرفها المفكر الفرنسى "اليكس ميكشللى" على أنها "منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية، والتى تتميز بوحدتها وتنطوى على خاصية الإحساس بالجماعية والشعور بها. وهى– أى الهوية – وحدة من المشاعر الداخلية التى تتمثل فى الشعور بالاستمرارية والتمايز والديمومة"[٥]. ووصفها "أندرسون" بأنها بناء وتصور مجرد لفكرة تضامن الفرد مع كيان كبير خارج نطاق القرابة، وهى ناتجة عن جماعة تكونت وتبلورت فى ضمير الفرد ووجدانه[٦]. وهناك من يعرفها على أنها منظومة من وجهات النظر والمواقف التى يكونها الشخص تجاه نفسه، وهى جزء من المجال الإدراكى فى المحيط الذى يعيش فيه الفرد. وأحد المكونات المهمة فى بناء الهوية هو منظومة الارتباط بين الفرد والجماعات الاجتماعية والدينية والثقافية والقومية...إلخ[٧]. ومنهم من عرفها على أنها "الآلية التى يمكن للفرد خلالها أن يُعرِّف نفسه فى علاقته بالجماعة الاجتماعية والثقافية التى ينتمى إليها، وعن طريقها يتعرف عليه الآخرون بوصفه منتميًا إلى تلك الجماعة. وهى آلية تتجمع عناصرها المتعددة على مدار تاريخ الجماعة (عنصر التاريخ) وعبر تراثها الإبداعى (الثقافة) وأنماط حياتها (الواقع

الاجتماعى). والملامح الحقيقية للهوية – وفقا لهذا التعريف– هى التى تنتقل زمنيًا داخل الجماعة وتظل محتفظة بوجودها وحيويتها مثل القيم والتراث الثقافى واللغة والفنون والآداب، وطرائق الحياة وأنماط التفكير..إلخ[٨].

وهناك من يميز بين **شقين للهوية**، أحدهما قانونى يحدد علاقة الفرد أو المواطن بالدولة، وتكون أداته هى الوثائق الرسمية، والثانى القومى وهو الانتماء إلى الأمة أو الوطن، وتكون أدواته هى النشأة فى الوطن (أو الأمة) والتربية فيه على أساس كل ما يمتلك من قيم ثقافية ولغة ومعتقدات وتقاليد ومعايير سلوكية وأخلاقية وأنماط حياة. وفى حين لا تعنى الهوية القانونية أكثر من الانتساب الرسمى إلى الدولة التى يقيم فيها الفرد، لا تُكْتَسَب الهوية القومية بالقانون، وإنما بالنشأة وباكتساب كل مقومات الأمة بما فى ذلك الانتساب إلى الأسرة التى تعايشت زمنًا طويلاً مع مقومات الأمة والوطن [٩]. وهناك من يشخصون الهوية (الجماعية أو الوطنية) بشكل جامع، على أنها مجموعة الخصائص والقيم والقواسم المشتركة التى يتقاسمها الأفراد المنتمون إلى هذه الهوية، ويتمسك بها المجتمع أو الأمة، وتميزهم عن غيرهم، من لغة وأدب وعلوم ودين وقانون وقواعد الأخلاق وتاريخ وفنون وبناء سياسى، ومحيط اجتماعى وبيئة معيشية وسكنية وخصوصية ثقافية وذاكرة وطنية وحدود جغرافية...إلخ. وهى عناصر تكونت وتراكمت عبر العصور. وكلما تأصلت هذه المقومات فى نفوس أفراد المجتمع أو الأمة أسهم ذلك فى التأثير فى ثقافات المجتمعات الأخرى. وتستمد الهوية الصحيحة حيويتها من شعور أفرادها وجماعاتها بوحدتهم وتشابه خصائصهم القوى، وأساس الهوية هو الشعور بـ (النحن) أو الشعور بالانتماء الجماعى والموحد، والرغبة فى العيش المشترك والمستمر فيما بينهم.[١٠]

ومن ثم فإذا كانت الهوية تتأسس استنادًا إلى العضوية والانتماء إلى جماعة تربطها خصائص مشتركة، إلا أنها فى حقيقة الأمر بمثابة خطاب جماعى قوى يتجاوز مجرد هذه الجماعة أو الفئة، فيجسد الإحساس الكلى القوى بالارتباط بهذه الخصائص المشتركة، كما يجسد حاجتهم إليها. لعل هذا ما دفع "أمين معلوف" للقول

بأن هويات الأفراد والجماعات لا تتشكل فقط من مجرد عناصر ومقومات واردة فى "بطاقة الهوية"، فالهوية لا تعبر عن نفسها إلا فى إطار الجماعة، كما لا تكتسب القوة إلا من خلال التعبير الجمعى الذى يمنحها القوة فى مقابل الآخر[١١]. ودائمًا ما تكون الهويات الجماعية أكثر تجريدًا من الهويات الفردية أو الفئوية، ولكنها لا توجد بمعزل عن الأفراد – الذين يمتلكونها– إلا كتصور مجرد. [١٢]

ينطوى تعريف الهوية إذن على معان رمزية وروحية وحضارية جماعية تمنح الفرد إحساسًا بالانتماء إلى جسد أكبر، وتخلق لديه الولاء والاعتزاز بهذا الجسد. ولكن لا يقل أهمية عن هذه الوظيفة الرمزية الحضارية للهوية وظيفة أخرى؛ عملية وإجرائية، هى فاعلية المجتمع أو المجتمعات التى تحمل هذه الهوية، وتروج لها، وتحافظ عليها، وتدافع عن أرضها وتنمى اقتصادها، كما تشبع الحاجات الأساسية لمواطنيها، وتقر العدالة الاجتماعية بين أفرادها وجماعاتها.[١٣]

ولا تعد الهوية منظومة نهائية أو كيان مكتمل أو منتهى، بل مشروع مفتوح ومنفتح على المستقبل، مشتبك مع الحاضر بتضاريسه ومعطياته، والتاريخ بأحداثه وتراكماته. ومثلما تمنح الهوية الأفراد إحساسًا بالانتماء إلى جسد أكبر، فإنها تصون ذواتهم وجماعتهم من عوامل الذوبان والتلاشى. وهذا التصور الوظيفى للهوية هو ما جعل الباحثين يميزون بين **تصورين لمعنى الهوية؛ التصور الاستاتيكى** الذى يشخصها على أنها مجرد أنموذج اجتماعى وثقافى اكتمل فى الماضى وانتهى، وما الحاضر إلا محاولة لإدراكه وتحقيقه. ثم **التصور الدينامى** الذى يرى فى الهوية شىء يتم اكتسابه وتعديله باستمرار، وليس كيانًا أو ماهية ثابتة، بل قابلة للتطور والتحول. فتاريخ أى شعب أو أمة ومخزونها الحضارى متجدد وعامر بالأحداث والتجارب والتفاعلات. فالهوية الأصلية تتغير باستمرار ومثلما تكتسب خصائص جديدة تلفظ أخرى. وأى تهديد لمقومات الشعب أو الأمة يواجهه بخط الدفاع والمقاومة حفاظًا على المقومات الجماعية من الانهيار أو التلاشى، مع الفطنة لتتكيف العناصر والمستجدات المهددة للهوية. ويظل هذا الموقف رهنًا بقدرة المجتمع أو الوطن على

تأمين الإشباعات الضرورية للحاجات الثقافية والفكرية والروحية- وبالطبع الاقتصادية كما أشرنا- لأفراده وجماعاته.[١٤] وعلى ذلك لا تتسم مستويات الهوية (التى أشرنا إليها وهى الهوية الفردية، والجماعية، والوطنية أو القومية) فى علاقاتها بالثبات، بل دينامية فى وضعية تفاعل دائم، ويتغير مدى كل مستوى بشكل دائم اتساعًا وضيقًا بحسب الظروف التاريخية والموضوعية للمجتمع، وما يهيمن عليها من حالات تضامن أو صراع، وبحسب المصالح والتطلعات الفردية والجماعية والقومية. فهذه المستويات تتحدد وفقًا لنوع "الآخر" وموقعه وطموحاته. فإذا كان "الآخر" داخليًا، ويقع فى دائرة الجماعة، فالهوية الفردية هى التى تفرض نفسها كـ"أنا". وإن كان يقع فى دائرة الأمة، فالهوية الجماعية هى التى تحل محل الـ"أنا" الفردى، أما إذا كان الآخر يقع خارج الأمة والدولة والوطن فإن الهوية الوطنية والقومية هى التى تملأ مجال الأنا. ولا تبرز الهوية ولا تكتمل خصوصيتها الحضارية ولا تغدو قادرة على العطاء إلا إذا تجسدت مرجعيتها فى كيان مشخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر هى الوطن والأمة والدولة.[١٥]

الهوية والانتماء

لأن الهوية فى أحد أبعادها تمثل كيانًا أو مجموعة من الانتماءات إلى مقومات مشتركة، لذا يميل بعض الباحثين إلى استخدام المفهومين بشكل مترادف [١٦]. وفى الوقت الذى يميل فيه مفهوم الهوية إلى أن يتخذ طابعًا سيكولوجيًا وفلسفياً بالمقام الأول، يأخذ مفهوم الانتماء طابعًا سوسيولوجيًا بشكل أكبر. **فالانتماء يشكل جذر الهوية وعصب الوجود المجتمعى، وهو أحد أبعاد الهوية وعنصرًا من عناصرها،** وهو إجابة عن سؤال الهوية فى صيغ: "من نحن"؟ و "من نكون" ؟ و "أين نقف" ؟ و"إلى أين نمضى"؟ و"ما هو موقعنا على خارطة العلاقات والتفاعلات والصراعات القائمة"؟ . إنه الحالة التى يتخذها الفرد إزاء مجتمعه أو وطنه أو عقيدته.

ويشكل الانتماء مجموعة الروابط التى تشد الفرد إلى هذه الجماعة أو الوطن وتربط بينهما. والهوية، باعتبارها أمرًا ذاتيًا وموضوعيًا، هى وعى الإنسان بانتماءاته إلى مجتمع أو وطن أو جماعة فى إطار الانتماء الإنسانى العام. ومن أهم أسس الهوية الوطنية الاقتناع بالانتماء والذى يقوم على الاعتراف بالآخر، وبأن ثمة خصوصيات قد تكون دينية أو جغرافية أو إثنية ...إلخ. ولكنها مصهورة جميعًا فى بوتقة واحدة هى "الهوية الوطنية أو القومية" [١٧]. ولكن هل من ينتمى إلى هوية ما لابد وأن يتمثل أهدافها وقيمها ويدافع عن مصالحها ويشعر بأنه جزء من نسيجها؟ أم أن هناك فارقًا بين الانتماء – فى ذاته– أى الهوية، والشعور بهذا الانتماء؟

عند هذه النقطة هناك من يميز بين **الانتماء والشعور بالانتماء**، فالانتماء حالة موضوعية، يفرضها واقع الحال، كأن ينتمى الإنسان إلى قومية معينة مثل القومية العربية مثلاً (فمن تكون العربية لغته الأم يتحدثها، ويعيش فى داخل الأرض العربية، هو عربى بالضرورة ولا يمكنه الخروج من دائرة الهوية العربية). أما الشعور بالانتماء فقد يتطابق مع البعد الموضوعى للانتماء وقد يخالفه أو يتناقض معه (فالعربى الذى يتكلم العربية ويعيش على أرض العرب قد تأخذه مشاعر الانتماء القوية إلى العروبة، وقد لا تأخذه، إذ قد تغيب هذه المشاعر وتضعف لديه روابط العروبة، فتحدث المفارقة بين معطيات الواقع الموضوعى للانتماء، ومشاعره، أى الواقع الذاتى). وقد تتباين درجة الشعور بالانتماء وشدتها بين شخص وآخر، فى ضوء طبيعة ترتيب سلم الانتماءات لديه، والظروف المحيطة به[١٨]. كذلك من الممكن أن يغير الفرد من هويته وانتمائه؛ فقد ينتمى الفرد إلى هوية محددة أو إلى عدد من الهويات المتنوعة فى وقت واحد، وقد يركز على هوية معينة على حساب الهويات الأخرى. ومن ثم فإذا كانت الهوية توسم لدى البعض بالثبات النسبى والاستقرار والديمومة – وهى الحالة الأكثر شيوعًا– فإنه فى ظل معطيات معينة قد تتغير وتتبدل. ورغم ذلك لا تؤدى التغيرات السياسية والثقافية إلى تغير سريع فى

الهوية والانتماء لدى الفرد، بقدر ما تفضى إلى التغير فى مستوى أو درجة أهمية الهوية والانتماء والتأكيد عليهما.[١٩]

أهم مقومات الهوية العربية وأركانها

فى ضوء الطرح السابق، وترتيباً عليه، يمكن القول إن الهوية ترتكز على عدة مقومات أهمها اللغة، والدين، والتراث والثقافة أو الموروث الثقافى، وعنصر التاريخ، والجغرافيا أى الأرض، والمصالح المشتركة، وأنماط الحياة، والبيئات المعيشية، (وهناك من يدرج متغير الدولة والعلاقة بالمؤسسات القائمة)، بوصفها جميعاً من العناصر الرئيسة التى تحدد هوية الشعوب. والهوية العربية فى تصور الرؤية الراهنة تتأسس على عدة مقومات نوردها بإيجاز فيما يلى:

- **اللغة العربية**

تشغل اللغة القومية مكان الصدارة فى تكوين الهوية، والعنصر الثقافى الأهم فى توحيد الانتماءات الجماعية بين البشر: فالأمم التى تبنى هويتها وشخصيتها القومية وتوحد شعوبها، تلجأ إلى اللغة وسيلة إلى ذلك البناء والتوحيد. فإيطاليا توحدت على أساس اللغة، وهكذا ألمانيا، ولذلك عَرَّف الفيلسوف الألمانى "فيخته" الأمة الألمانية "الموحدة والمتماسكة" بأنها تضم جميع الذين يتكلمون اللغة الألمانية، واعتبرها أساس الهوية الألمانية. كما ذهب دائماً إلى أن اللغة القومية والهوية القومية أمران متلازمان ومتعادلان. وإذا كانت بعض الأمم تقوم على وحدة الهدف السياسى أو وحدة الأرض أو الأصل أو التاريخ المشترك، تنهض هويتنا العربية على أساس من وحدة اللسان العربى أى اللغة التى جمعت العرب، بعد خلاف فى اللهجات، حول لغة واحدة. وما سميت المنطقة الجغرافية التى يقوم عليها الوطن العربى بالبلاد العربية إلا لأنها تتكلم العربية، ولا عجب أن جُعِلت الحدود اللغوية على البقعة الجغرافية العربية حدوداً أساسية للوطن العربى، على خلاف كثير من الأمم والمجتمعات. وبهذا تكون اللغة قد جعلت هذه الأرض وطنًا ينتمى إليه العرب. ولهذا كانت اللغة العربية على مدار

تاريخها الطويل عاملا لتوحيد العرب وتحييد ما يوجد بين بعضهم من حواجز جغرافية. فلأنهم يتكلمون العربية وينتمون للثقافة العربية، تضعف أهمية وفاعلية الحواجز الجغرافية الفاصلة بين بعضهم. وقد بلغ من أهمية عنصر اللغة فى تشكيل الهوية العربية ما أكده غير قليل من الباحثين من تراجع عامل الحتمية الجغرافية وعدم الالتفات إليه – رغم أهميته فى تعميق التفاعل بين الشعوب– عند الحديث عن الهوية العربية. فلغة الضاد هى أبرز ما يتميز به العرب وأقوى رابط يشدهم إلى تاريخهم، ويظهر استمراريتهم وبقاءهم ويجمعهم اليوم، بالرغم مما يقع بينهم من صراعات سياسية واختلافات فى المصالح الاقتصادية والاجتماعية. وحينما تزول اللغة العربية لا يبقى للعرب هوية أو قوام يميزهم عن سائر الأمم والأوطان ويغدو الوطن العربى مهددًا بالذوبان فى غمار الآخر[٢٠].

ورغم أهمية اللغة العربية فى بنية الهوية القومية، هناك من الباحثين من لا يقبل بذلك الدور الوحيد والجوهرى للغة فى تشكيل الهوية، فـ "حليم بركات" –على سبيل المثال– يرى ثمة عوامل أخرى لا تقل أهمية عن اللغة فى نشوء وعى قومى عربى وتدعيم الانتماء والهوية العربية، وتأتى الثقافة والتاريخ المشترك والجغرافيا والمصالح الاقتصادية المشتركة والبنى الطبقية...إلخ فى مقدمة هذه العوامل[٢١] . ويكمن الاختلاف هنا– فى تصورنا– فى مستوى أو حجم الأهمية النسبية لهذه العوامل بالنظر إلى عامل اللغة.

- **التاريخ المشترك**

عامل مهم فى عوامل تشكيل الهوية العربية وبنائها، وهو التاريخ الذى يتناول نشاط الإنسان العربى فى الزمان والمكان، وهو كذلك السلسلة الطويلة من الأحداث والتفاعلات المتشابكة التى حدثت فى الجماعات البشرية العربية على مر الأجيال، وأعطتها اللغة القومية والثقافة والعادات والتقاليد المشتركة طابعها المميز، وولدت عند أبنائها الأهداف والمصالح المشتركة والطابع القومى الواحد [٢٢]. ومن ثم فلا نعنى

بالتاريخ هنا التاريخ السياسى، وإنما التاريخ الشعبى، أى تاريخ الشعوب العربية، ذلك الذى سجل معاناة الشعوب أثناء مسيرتها التاريخية فى الحياة، وكيف واجهت العقبات وتغلبت عليها. إنه التاريخ الذى يستقر فى ذاكرة الشعوب ويمدها بالمواقف والتجارب والخبرات التى تساعد فى التعامل مع هذا الموقف أو ذاك. وهو التاريخ الذى يربط الأحياء بالأموات، ويوحد بين أبناء الأمة العربية فى ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم(٢٣). ومن ثم فالتاريخ له دور مؤثر فى تشكيل الهوية العربية وبلورتها.

التراث

وهو مكون مهم من مكونات الهوية العربية ويقصد به جماع ما وصلنا من إنتاج الأقدمين من فكر وعلوم ومعارف وحرف وفنون وفلكلور، وعادات وتقاليد وطقوس، وطرز معمارية...إلخ. وهو يشكل جزءًا من الموروثات التاريخية والثقافية التى تتوارثها الأجيال العربية المتوالية. وفى أهمية مكون التراث ذُكِرَ أن أمةً بلا تراث هى أمةٌ بلا هوية.

الدين

يعد انتساب الأفراد إلى ديانة واحدة من العوامل التى تجعلهم يشعرون بأنهم مشتركون فى هوية جماعية واحدة. فسكان الوطن العربى لا يأتى انتماؤهم إلى الهوية العربية فى ضوء عامل الانتماء إلى مقومات العروبة (اللغة العربية والثقافة العربية) فقط، وإنما أيضًا لأن أغلبهم يدين بالدين الإسلامى، ولذلك دور مهم فى تقوية ملامح الهوية الجماعية المشتركة. ومثلما تتغذى الهوية على عنصرى اللغة والثقافة، ترتكز كذلك على الدين والقيم الدينية. والهوية التى تستند إلى مجموع هذه المقومات؛ من لغة ودين وثقافة هى بالطبع أقوى وأمتن من تلك التى تستند إلى إحداها فقط. ومن ثم فاشتراك العرب فى العقيدة الدينية الإسلامية يدعّم من شعورهم بالانتساب إلى هوية عربية إسلامية واحدة. ولكن عامل الدين بمفرده لا يؤدى إلى هوية جماعية قوية بين الشعوب التى تدين بدين مشترك، بدليل ما هو حادث الآن بين الشعوب الإسلامية

(إيران– ماليزيا– تركيا– إندونيسيا..) التى تدين أقسام متباينة من شعوبها بالإسلام؛ فرغم وجود ملمح هوية مشتركة مع الدول العربية مستندة إلى المعتقدات والشعائر والممارسات الإسلامية، فإن عدم وجود لغة مشتركة، وبالتالى ثقافة مشتركة، يضعف كثيراً من إمكانية وجود هوية جماعية لهذه البلدان معًا.(٢٤)

الأرض

تمثل الأرض الواحدة –أو *الموطن* أو *الوطن*– التى يقطنها البشر عنصرًا مهمًا فى تشكيل هويتهم الجماعية. فوجود الأفراد على أرض ذات مساحات كافية وحدود جغرافية تسمح للمجموعات البشرية والديموجرافية بالتجمع والاجتماع عليها معًا، عامل مهم ومؤثر فى بلورة ملامح هوية مشتركة لهم(٢٥). ولكن عنصر الأرض بمفرده لا يمكن أن يسهم فى تشكيل الهوية المشتركة، ما لم تدعمه عوامل ثقافية فارقة كمثل اللغة والدين والثقافة...إلخ. فالأرض أو الرقعة الجغرافية مجرد عامل مساعد ومهيئ لتشكيل الهوية الجماعية. فثمة مجتمعات عديدة تشترك فى حدود جغرافية مكانية واحدة ولكن لكل منها هويته وشخصيته القومية وطابعه المغاير والمميز. **هذه هى أهم مقومات الهوية العربية.**

إذن الهوية الوطنية العربية فى وعى الباحث هى الانتماء الجماعى لمجموعات من البشر إلى عناصر ومقومات متنوعة مثل اللغة والدين والثقافة والتاريخ وأساليب وأنماط العيش والحياة على الأرض المشتركة. كما تتضمن الهوية – إلى جانب الاشتراك فى هذه العناصر مجتمعة– الشعور القوى بالانتماء إلى هذه الوشائج، وأن ينمو هذا الشعور حتى يترسخ كإحساس جماعى بين من يعيشون على الأرض المشتركة– أى الوطن بوصفه كيانًا تاريخيًا وجغرافيًا واجتماعيًا وثقافيًا وسياسيًا.

تعنى إذن الهوية العربية الانتماء إلى خصائص هذا الوطن العربى ومقومات وجوده وكينونته؛ إلى لغته القومية ورموزه وثقافته وقيمه وتاريخه ومصيره، وقد يكون

هذا الانتماء روحيًا أو سياسيًا أو هما معًا. إنها تعنى الارتباط القوى بالأرض والجغرافيا والتاريخ واللغة والدين أو الديانات الشائعة فى المجتمع العربى. وتكمن أهمية هذا الارتباط فى أنه يمنح الأفراد والجماعات أسس وجودهم وشعورهم بالانتماء إلى أصول عربية مشتركة، ويميزهم عن غيرهم ويمنحهم طابعهم وشخصيتهم القومية المميزة. كما يغذى مسئولياتهم الجماعية بضرورة استمرار مقومات هويتهم.

ولا تعد الهوية العربية شيئًا استاتيكيًا ثابتًا بل ديناميكياً ومتغيرًا، يتحرك ويتأثر، ويتفاعل ويستجيب للتغيرات الحادثة فى النظم الاجتماعية العربية وظروفها الاقتصادية والسياسية السائدة، كما يستجيب للمعطيات والمستجدات الكونية، فيتفاعل معها ويكيف عناصرها الإيجابية لصالح بقائه واستمراره. وفى ذات الوقت تنطوى الهوية العربية الأصيلة على عناصر الثبات والتتابع التى تحفظ لها استقرارها وديمومتها وبقاءها. ويساعد التمسك بالهوية ومقوماتها والحفاظ على استدامتها فى ملء الفراغ الأيديولوجى والثقافى والروحى الذى يسم المناخ السائد فى العالم المعاصر. وتأتى الهوية أيضاً عبر التبعية للمجتمع والدولة وهى البديل لعمليات الولاء التقليدية للقبيلة والأسرة والطائفة ..إلخ.

وتتكامل أبعاد الهوية العربية ومقوماتها إذا ما توافر **شرطان محددان** هما: الوعى الذاتى والشعور بالانتماء إلى الأمة العربية أو الوطن العربى الذى يحمل الأفراد هويته وجنسيته، ويرتبطون بأنظمته وقوانينه ومؤسساته وثقافته وذاكرته الوطنية. بمعنى أن يكون الافراد على وعى تام بأنهم ليسوا مجرد أفراد لذواتهم، بل جزءًا لا يتجزأ من الكيان العربى الذى يحملون هويته. والشرط الثانى هو الوعى بأهمية هذا الانتماء؛ بمعنى أن يكون الفرد على معرفة وإدراك واضح بدور وطنه ومكانته فى صناعة التاريخ وبناء الحضارة، وحاملاً لتراثه ويشعر بالفخر بالانتماء إليه والولاء له، ولديه الرغبة الحقيقية والقوية فى بذل أقصى ما فى وسعه لتحقيق التقدم المنشود لوطنه. كما يعى ويميز بوضوح بين الوطن الذى ينتمى إليه والأوطان

أو الأمم الأخرى، فلا يقبل أفضلية للآخر على وطنه بقصد الانتقاص منه وتشويه حضارته ودوره فى التاريخ، كما يجتهد دائمًا لصياغة الـ" نحن" العربية القومية.[٢٦]

المراجع

١- راجع مداخلة طارق البشرى فى ندوة " تكنولوجيا تنمية المجتمع العربى فى ضوء الهوية والتراث"، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩، ص ٢٦.

٢- على أسعد وطفة وسعاد مسلم الشبو: هل تراجع الشعور القومى العربى. قراءة سوسيولوجية فى آراء طلاب جامعة الكويت، المستقبل العربى، العدد ٢٤٦، السنة ٢٣، فبراير ٢٠٠١، ص ١٠٠.

٣- عزيز حيدر: دور المقاومة الثقافية فى صياغة الهوية الجماعية دراسة فى الهوية الجماعية للعرب فى إسرائيل، المستقبل العربى، العدد ٢٠٥، السنة ١٨، مارس ١٩٩٦، ص ٢٧.

٤- Benedict Anderson: Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism, Verso, London,1991,p.5.

٥- جون جوزيف: اللغة والهوية ، ترجمة عبد النور الخرافى ، عالم المعرفة، العدد ٣٤٢، أغسطس ٢٠٠٧، ص ٧.

٦- عزيز حيدر: دور المقاومة الثقافية فى صياغة الهوية الجماعية، مرجع سابق ، ص ٢٧.

٧- على أسعد وطفة وسعاد مسلم الشبو: هل تراجع الشعور القومى العربى. قراءة سوسيولوجة فى أراء طلاب جامعة الكويت ، مرجع سابق، ص ١٠٠.

٨- Benedict Anderson: Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism, op.cit, p.5.

٩- رشاد عبد الله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، عالم المعرفة، العدد ٢٢٤، أغسطس ١٩٩٧، ص ص ١٥٨-١٥٩.

١٠- المرجع السابق ، ص ص ٧ – ١٠.

١١- محمد أحمد خلف الله: علاقة الهوية والتراث بالإسلام، ورقة مقدمة إلى ندوة "تكنولوجيا تنمية المجتمع العربى فى ضوء الهوية والتراث، مرجع سابق، ص ص ٣١- ٣٣ ، ص ٣٦.

١٢- راجع:
- ليونى هودى: هوية الجماعة والتماسك السياسى (فى): دافيد أو سيرز، وليونى هودى، و روبرت جيرفيس (تحرير): المرجع فى علم النفس السياسى، الجزء الثانى، ترجمة: ربيع وهبة وآخرون، مراجعة: قدرى حفنى، المركز القومى للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص ٨٨٨.
- سعيد إسماعيل على: الهوية والتعليم، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص ٣٤.
- فؤاد أبو حطب: العولمة والتعليم بين عولمة التعليم وتعليم العولمة، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، ص. ٥.
- إسماعيل الفقى: إدراك طلاب الجامعة لمفهوم العولمة وعلاقته بالهوية والانتماء: دراسة إمبيريقية، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، ص ٢٠٧.

١٣- أمين معلوف: الهويات القاتلة، ترجمة: نهلة بيضون، دمشق، دار الجندى، ١٩٩٩، ص١٢.

١٤- ليونى هودى: هوية الجماعة والتماسك السياسى،مرجع السابق، ص ص ٨٧٤- ٨٧٥. وراجع: جون جوزيف: اللغة والهوية، مرجع سابق، ص ص ٢٢-٢٣.

١٥- سعد الدين إبراهيم: مستقبل المجتمع والدولة فى الوطن العربى، منتدى الفكر العربى، عمان، الطبعة الثانية، أكتوبر ١٩٨٨، ص٣٣٢.

١٦- راجع:
- كريم أبو حلاوة: الآثار الثقافية للعولمة. حظوظ الخصوصيات الثقافية فى بناء عولمة بديلة، عالم الفكر، مجلد ٢٩، العدد ٣، يناير، مارس٢٠٠١، ص١٨٧.
- شاكر عبد الحميد: الهوية والمستقبل، جريدة الأهرام، السبت ١٩ سبتمبر، ص ١٠.
- طه عبد العليم: الأمة المصرية عنوان الهوية والانتماء والولاء، جريدة الأهرام، الأحد ٤ سبتمبر ٢٠١١، ص١٢.

١٧- عبد العزيز الدروى: الهوية الثقافية العربية والتحديات، المستقبل العربى، العدد ٢٤٨، السنة٢١، أكتوبر ١٩٩٩، ص ٣٤.

١٨- عزيز حيدر: دور المقاومة الثقافية فى تشكيل الهوية، مرجع سابق، ص ٢٧.

١٩- أحمد مفلح: الهوية القومية فى المنهجية اللبنانية الجديدة: مقومات وخصائص مادة التربية الوطنية والتنشئة المدنية أنموذجًا، المستقبل العربى، السنة٣٠، العدد٣٤٦، ديسمبر٢٠٠٧، ص ٣١. وأيضًا: على أسعد وطفة وسعاد مسلم الشبو: هل تراجع الشعور القومى العربى. قراءة سوسيولوجة فى آراء طلاب جامعة الكويت، مرجع سابق، ٢٠٠٢ ، ص. ٩٧.

٢٠- Antony Smith: National Identity, Penguin Books, London, 1991, p.p. 24-25.

٢١- محمود كامل الناقه: اللغة والهوية، ورقة مقدمة إلى مؤتمر علم اللغة الثالث بعنوان "التعليم باللغات الأجنبية فى العالم العربى"، كلية دار العلوم،جامعة القاهرة، ١٤-١٥ فبراير ٢٠٠٦، ص ص٣٥٦-٣٥٨. وراجع كذلك: أحمد مفلح: الهوية العربية فى المنهجية اللبنانية، مرجع سابق، ص ٤١.

٢٢- حليم بركات: المجتمع العربى فى القرن العشرين. بحث فى تغير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٧١.

٢٣- أحمد مفلح: الهوية العربية فى المنهجية اللبنانية، مرجع سابق، ص ص ٣٦-٣٧.

٢٤- محمد أحمد خلف: علاقة الهوية والتراث بالإسلام، ورقة مقدمة إلى ندوة "تكنولوجيا تنمية المجتمع العربى فى ضوء الهوية والتراث"، مرجع سابق، ص ص ٣٨-٣٩.

٢٥- محمود الزوادى: فى محددات الهوية الجماعية وإشكالياتها: المجتمع التونسى الحديث نموذجًا، المستقبل العربى، العدد ٢١٧، السنة ١٩، مارس ١٩٩٧، ص ٣٣.

٢٦- ياسين خليل: اللغة والوجود القومى، ورقة مقدمة فى ندوة "اللغة العربية والوعى القومى"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، ص ص ٣٤٠- ٣٤١.